

أضرار الذنوب والمعاصي { ٣ }

المعاصي تُدمرك

الداء والدواء

١ الذنوب تُضعف سير القلب إلى الله

الذنوب لا تدع الإنسان يخطو خطوة نحو الله سبحانه وتعالى ، هذا إن لم تجعله يقف مكانه ، هذا إن لم ترده .
كما أن الذنوب يحجب الواصل ويقطع السائر وينكس الطال والقلب إنما يسير إلى الله بقوته فإذا مرض بالذنوب ضعفت تلك القوة التي تُسيره ، فإن زالت بالكلية انقطع عن الله انقطاعاً بعيد تداركه..

والذنوب إما أن يميت القلب أو يُمرضه مرضاً مخوفاً أو يُضعف قوته ، حتى ينتهي به إلى الأشياء التي استعاض منها النبي ﷺ { الهم والحزن } .. لأن القلب عندما يضعف يكون فريسة للموم والأحزان ويزداد سلطان الشيطان عليه فيبالغ في الحزن والخوف ، فيقهره ويثبطه ... - ومن الطبيعي أن يحزن الإنسان ولكن لا يضح هذا الحزن ؛ لأنه سيوصله إلى إحباط ثم استعاض النبي ﷺ من { العجز والكسل } لأنه عندما يضحهم والحزن يصلوا بالإنسان إلى العجز والكسل.

الخوف	الحزن	العجز	الكسل
يكون على شيء يحدث في الماضي في المستقبل	يكون على شيء غير قادر فعلاً	أن يكون الإنسان قادر، لكنه لا يريد	الإنسان يكون

٦ العاصي في أسر وسجن

إذا استحوذ الشيطان على العبد فهو أسير للذنوب والمعاصي والشهوات وأما صاحب الطاعة يشعر في أي مكان بالراحة والذي يجعل الله قلبه عزة فلن ينكسر أبداً في مهمات مررت عليه سنين البلاء مثل يوسف عليه السلام شجن لسنين طويلة فمسألة السعادة ليست مرتبطة بالسجن وإنما مرتبطة بالقلب .

لذلك يوسف عليه السلام كان يدعو إلى الله حتى وهو في السجن ، ولو نظرنا اليوم حال البعض عندما تمر عليه مصيبة قد يترك الصلاة ويسخط من ربه أما يوسف الكريم ابن الكريم لم يعاتب الله قط وإنما كان يتحدث معهم عن نعمة الله عزوجل عليه وكان من الشاكرين وهنا نقول أن الشكر حالة قلبية ملازمة للعبد لتوصله لدرجة من الأتس فلا تؤثر عليه الجواز.

٧ المعاصي تجلب أسوء الأسماء

قارن بين المعصية والطاعة والألقاب التي تحوزها هنا وهنا لكي تعلم أن المعصية ذل والطاعة عز وشرف وتجد الإنسان عندما يبدأ في طريق الطاعة تجد أن الله يكرمه بألقاب جميلة ويكون له وقار وجاه ...

وهذه الألقاب ليست هي هدفه ولكنها من بركة الطاعة فصار يقال له القارئ والإمام والداعية والشيخ وهذه من ثمار وبركات الطاعة --- والمعصية ذل تُكسي صاحبها أسوء الألفاظ لذلك كان أحدهم يقول في السجود اللهم أعزني بطاعتك ولا تذلي بمعصيتك.

ومدار النفس البشرية على هذه القوتين وأعلى الناس عند الله وأفضلهم هم من جمعوا بين القوتين قال الله عز وجل : { وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ }

صبروا << القوة العملية يوقنون : << القوة العلمية

٢ تذهب النعم وتجلب النقم

فمن عقوبات الذنوب أنها تزيل النعم وتحل النقم فما زالت عن العبد نعمة إلا بذنب ولا حلت به نعمة إلا بذنب كما قال علي ابن أبي طالب >> ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع إلا بتوبة >> وقد قال الله عزوجل { وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ } ..

ورد في بعض الآثار الإلهية أنه : ما يكون عبد على ما أحب ثم أنتقل إلى ما أكره إلا أنتقلت له مما يحب إلى ما يكره ، ولا يكون عبد على ما أكره ثم أنتقل منه إلى ما أحب إلا أنتقلت له مما يكره إلى ما يحب.

٥ الذنوب تُعمي بصيرة القلب

من عقوبة الذنوب أنها تعمي بصيرة القلب وتطمس نوره وتسد طرق العلم وتحجب موارد الهداية وقد قال مالك للشافعي لما اجتمع به ورأى تلك المخاليل : إني أرى الله تعالى قد ألقى عليك نوراً فلا تطفئه بظلمة المعصية

وهذا حقيقي فالإنسان قبل إلتزامه شيء وبعد إلتزامه شيء آخر فتجد في وجهه نوراً وكان في ما مضى قبيح وعليه سواد في الوجه وهذا حقيقي لأن للحسنة نوراً في الوجه وضياء في القلب فإن كنت ممن أنعم الله عليك بالنور فلا تطفئه بظلمة المعصية

٨ المعاصي تؤدي إلى نقصان العقل

لذلك عندما وصف الله عزوجل أهل الطريق بأنهم أولي الألباب أي أصحاب العقول السليمة ، وكيف يكون عاقل من يعصى الله وهو في قبضته وفي داره وهو يعلم أنه يراه ويشاهده فيعصيه وهو بعينه غير متوار عنه ويستعين بنعمه على مسأخته..

فأي عقل لمن أثر لذة ساعة أو يوم أو دهر ثم تنقضي كأنها حلم لم يكن على هذا النعيم المقيم والفوز العظيم ؟ بل هو سعادة الدنيا والآخرة ولولا العقل الذي تقوم به عليه الحجة لكان بمنزلة المجانين بل قد تكون المجانين أحسن منه حالاً وأسلم عاقبة من هذا الوجه...

الناس تتفاوت في البصيرة وقوة إثارة الحق على الباطل لذلك ذكر الله عزوجل في القرآن أفضل الناس الذين لديهم القوتين القوة العلمية والعملية فقال الله عزوجل: { وَادْكُرْ عِبَادَنَا إِذْ أَنْهَيْنَاهُمْ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَبْصَارِ }

أولي الأيدي

أصحاب القوة العملية

أولي الأبصار

أصحاب القوة العلمية

٣ وحشة عظيمة في قلب العاصي

الله يبنتل العاصي بأنه يمقت نفسه وأنه كلما زاد في الذنوب زادت هذه الوحشة الله بينه وبين وبين الصالحين ، وأمر العيش عيش المستوحشين الخائفين وأطيب العيش عيش المستأنسين فلو نظر العاقل ووازن لذة المعصية وما توقعه من الخوف والوحشة لعلم سوء حاله وعظيم غبنه.

وهنا الإمام ابن القيم يقوى هنا دافع العزيمة لأن الإنسان لو في كل مرة اختار المعصية فهذا يدل أن لديه خلل في الموازين فلا يمكن لعاقل أبداً أن يختار لذة المعصية الزائلة مع لقاء الوحشة في القلب.

٤ المعاصي تُصرف القلب عن الإستقامة

يقول الإمام ابن القيم جملة عظيمة وهي قد أجمع السائر إلى الله أن القلوب لا تعطى منها حتى تصل إلى مولاه ولا تصل إلى مولاه حتى تكون صحيحة سليمة ولا تكون صحيحة سليمة حتى ينقلب داؤها فيصير نفس دواتها ولا يصح لها ذلك إلا بمخالفة هواها.

فهو لها مرضها وشفاها مخالفتها فإن استحكمت المرض قتل أو كاد ، وقيل أن >> في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة >> كما قيل >> لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لآلدونا عليه بالسيف >>.

٩ المعاصي تحقق البركة من كل شيء

فتمتلك البركة في العمر والرزق والعلم والعمل وبركة الطاعة ، وليست سعة الرزق والعمل بكثرة ولا طول العمر بكثرة الشهوات الأعوام ولكن سعة الرزق والعمر بالبركة فيه ، وإنما كانت المعصية سبباً لمحق بركة الرزق والأجل ..

لأن الشيطان موكل بها وبأصحابها فسلطانه عليهم وحوالته على هذا الديون وأهله وأصحابه وكل شيء يتصل به الشيطان ويقارنه فيكرهه محمقة لذلك شرع ذكر اسم الله تعالى عند الأكل والشرب واللبس والجماع لما في مقارنة اسم الله من البركة وذكر اسمه يطرد الشيطان فتحصل البركة ولا معارض..

١٠ الذنوب تُضعف البصيرة

وهنا الإمام ابن القيم يعتني بمحور القوة العلمية والعملية فيقول أن مدار أي معصية وطاعة على شقين :

القوة العملية

إثارة الحق على الباطل

القوة العلمية

معرفة الحق من الباطل